

أهمية الصورة التعليمية في نفسية الطفل (*)

The impact of a didactic picture on child psychology Memory crypt

سهام سماح / طالبة دكتوراه

مخبر التأويل وتحليل الخطاب، جامعة بجاية

البريد: samahsiham1992@gmail.com

ملخص : تهدف الدراسة إلى الكشف عن أهمية الصورة التعليمية في نفسية الطفل من خلال التطرق إلى أهم خصائصها التي تؤدي إلى التعلّم، فبعدما كان التعلّم في القديم قائماً على اللغة اللفظية أصبح في وقتنا الراهن يستند إلى اللغة البصرية الأيقونية، التي تخلق إيحاءات نفسية محددة عند الطفل. ومما لا شك فيه، أن الطفل في المرحلة الابتدائية خاصة تجذبه الصور أكثر من الألفاظ، بحيث نثير اهتمامه وتزيد من دافعيته للتعلّم وفهم موضوعات عديدة، فهي تعد وسيلة ناجعة في إيصال الرسالة التعليمية للمتعلم بشكل مشوق ومثير، وهذا دليل على أن الكلمة عاجزة أمام بلاغة الصورة، فهذه الأخيرة هي الأقرب إلى نفسيته، نظراً لما تحمله من علامات تستدعي منه فك شفراتها وفهم معانيها. ولعل هذا ما يدفعنا إلى الوقوف على أهمية الصورة التعليمية في نفسية الطفل، ومدى قدرتها على إثارة نفسيته والتأثير فيه، وكيف سيتمكن من استنطاق الصورة وفهم لغتها وكيفية اشتغالها؟

الكلمات المفتاحية : أيقون الصورة، الصورة التعليمية، الكلمة، الطفل، الدلالة، العلامة، التواصل.

Abstract :

This study aims at revealing the importance of a picture in teaching, through the impact of it on students' psychological. After many decades of relying on speech, a picture becomes now the best manner to stimulate student's both attention and emotions.

It is obvious that a student in a primary school is more attracted by pictures than by words, they stimulate his interest to understand the ideas he is dealing with in a class room,

* تاريخ تسلّم البحث: 2020 / 02 / 17، تاريخ قبول البحث: 2020 / 04 / 10.

what means that a picture is indeed an important part of a teaching process, a reason why we intend in this paper to focus the impact of it on a student psychologically.

Keywords : Pictures' Icône, didactic picture, word, child, significance, sign, communication.

توطئة :

تعتبر الصورة من أهم الوسائل الاتصالية التي استعان بها الإنسان منذ القدم، من أجل توضيح أفكاره، وتجسيد نمط حياته، فمرور الزمن شهد الازدهار الرقمي توسعا في استخدام الصور بشتى أنواعها، وجعل منها مجالا للدراسة السيميائية، لذا عدت من أبرز الموجهات والتقنيات التي يستعين بها الإنسان لترجمة أفكاره، ومختلف إنجازاته اليومية، إذ نجد من بين الذين أولوا اهتماما كبيرا لأيقون الصور الأمريكي (شارل سندررس بورس)، صاحب النظرية المنطقية السيميوطيقية البورسية، فقد اعتبرها علامة غير لغوية تحيل إلى عدة دلالات، وهذا يعني أننا نؤول، ونحاول اقتحام عالم الصور، باكتشاف خباياها وما تحمله من رموز، إلا أن هذه الصور عرفت حضورا كبيرا في الكتاب المدرسي، بل أصبحت جزءا فعالا فيه، فالغرض منها لا يقتصر في التزيين، والتعبير الجمالي، وإنما تنفتح على أهداف وأغراض أخرى؛ تربوية وتعليمية وثقافية... ألخ، فقد سعت المنظومة التربوية إلى إرفاق النصوص بصور تدعيمية لتحقيق تعليم فعال لدى الطفل.

1- لمحة تاريخية عن الصورة:

اجتاحت الصورة حياة الإنسان منذ أقدم الحضارات، وكان يتخذ منها وسيلة للتواصل والتفكير، فقد جسدها على شكل رسوم ونقوش على الصخور، وجدران الكهوف والمغارات، وهذا يقودنا إلى القول بأن (تاريخ الصورة هو تاريخ الإنسان الذي بدأ التواصل عبر الرسم، لتأتي اللغة كنظام إشاري يعتمد على ما نثيره المفردة من صور في الخيال الإنساني، واطراداً كانت الصورة تحل محل الواقع وتمتلك خاصية الإثبات للمواضيع المجردة وتجعل العالم مقروءاً)⁽¹⁾.

وقد كانت الحضارة الفرعونية تتخذ من الرسم أداة للتعبير عن أفكارها، ووسيلة للترفيه عن النفس، (فهو فن ضارب في جذور التاريخ، ذلك أن الإنسان الأول اعتاد التعبير عن حياته ومحيطه عن طريق نقش صور في الكهوف والصخور، وكذلك فعل الفراعنة، إذ يقال إن رسوماتهم كانت أداة تعبيرهم بدل الكلمات كما أنه وسيلة من وسائل التنفيس عن النفس)⁽²⁾، فقد كان اهتمامها منصبا على فن الرسم دون الكلمات.

كما احتلت الصورة مكانة هامة في حياة البشرية، فقد اتخذ الإنسان منها أنماطا مختلفة للتواصل، (فالإنسان سليل العلامة، بيد أن العلامة تنحدر من الرسم والتخطيطات، مروراً بالبيكتوغرام (الكتابة

المرسومة)، والكتابة الهيروغليفية. ليس ثمة من قطعة، بل ثمة استمرار تطوري بين "محور الصورة المتعدد الأبعاد" و"محور الكتابة الخطية"... لقد كانت الصورة وسيلتنا الأولى في ارسال المعلومات، والعقل الكتابي، بوصفه أم العلوم والقوانين، قد انحدرت تدريجياً من العقل الأيقوني. وبما أن الخرافات قد سبقت العلم والملاحم والمعادلات الرياضية، فإن الفعل التصويري أقدم من الحرف المخطوط بعشرات آلاف السنين⁽³⁾، وهنا إشارة إلى أسبقية الصورة عن الكتابة.

2 - تعريف الصورة (Image):

الصورة في اللغة وردت من مادة (ص و ر)، ويعرفها ابن منظور قائلاً: (الصورة هي الشكل، والجمع صور، وقد تصورتَه فتصور، وتصورت الشيء: توهمت صورته، فتصور لي والتصاور: التماثل)⁽⁴⁾. فالصورة Image تعود أصولها إلى (الكلمة اليونانية القديمة أيقونة Icon، والتي تشير إلى الشبه والمحاكاة، والتي ترجمت إلى Imago في اللاتينية، وImage في الإنجليزية، وقد لعبت هذه الكلمة ودلالاتها دوراً مهماً في فلسفة أفلاطون، وكذلك في تأسيس الكثير من أنظمة التمثيل والتمثيل Représentation، للأفكار والنشاطات في الغرب)⁽⁵⁾. إذاً، الصورة تشير في معناها اللغوي إلى التمثيل والتشابه لشيء ما. فقد وردت تعريفات عديدة للصورة وسنكتفي بذكر بعض منها، فالسيميائي المغربي سعيد بنكراد يعتبرها (واقعة بصرية تدرك في الفضاء)⁽⁶⁾. أما جولي (M. Joly) فتعدها " (وسيلة تعبيرية واتصالية تربطنا بتقاليدنا القديمة والغنية بثقافتنا)⁽⁷⁾. وهذا دليل على أن الصورة تلازمنا في كل مكان وفي أي وقت. وينظر (دي شامب F. Des champs) إلى الصورة على أنها (علامة أو أنها نظام للعلامات)⁽⁸⁾. ويرتبط هذا التعريف بالسيميائية التي تعتبر الصور علامة أو علامات متعددة الدلالات.

3 - مفهوم الصورة التعليمية:

تعد الصورة من أهم الوسائل التعليمية التي حققت تعليماً ناجحاً في شتى العلوم والمعارف، (فهي صورة هادفة ومفيدة تستخدم في مجال التربية والتعليم، وبالضبط في الفصل الدراسي. وبالتالي، تتحول هذه الصورة إلى صورة ديداكتيكية أو ما يسمى أيضاً بالصورة التعليمية التعليمية، وماهية هذه الصورة أنها وسيلة توضيحية، وأداة بيداغوجية هامة، تساعد المتعلم والمدرس معاً على التبليغ والإفهام والتوضيح، وتفسير ما غمض من الدرس، وتبيان جزئياته وتفصيله المعقدة بشكل محسوس ومشخص، خاصة أن المتعلم لا يمكنه فهم المجردات كثيراً)⁽⁹⁾.

إذاً، فالصورة ليست وسيلة تعليمية فقط، بل تساهم أيضاً في إعداد برامج ومناهج دراسية وتحديث طرق التعليم، فلها أهداف عديدة (تعليمية تربوية بيداغوجية إنسانية، وثقافية...)، فكونها وسيلة محسوسة ومشخصة، فإنها تمكن المتعلم من إدراكها بشكل سريع، وتساعد على فهم الدرس، والإلمام

بكل حيثياته، فهي أداة فعّالة تساعد المعلم والمتعلم من خلال ما تقدمه من توضيح وإبلاغ وفهم بشكل فوري.

ونقصد بالصورة التربوية والبيداغوجية (تلك الصورة التي توظف في مجال التربية والتعليم، وتتعلق بمكونات تدريسية هادفة، كأن تشخص هذه الصورة واقع التربية، أو تلتقط عوالم تربوية هادفة تفيد المتعلم في مؤسسته أو فصله الدراسي. أي: إن الصورة التربوية هي التي تحمل في طياتها قيما بناءة وسامية، تخدم المتعلم في مؤسسته التربوية والتعليمية بشكل من الأشكال، وقد تتنوع هذه الصور في أشكالها وأنماطها وأنواعها، لكن هدفها واحد هو خدمة التربية والتعليم⁽¹⁰⁾. إذًا، الصورة هدفها هو خدمة التربية والتعليم، فقد حاولت أن تشخص الواقع، وأن تصوغ منهاجا يحتوي قيما بناءة، فهي تكفل بمساعدة المدرس والمتعلم؛ بتوضيح ما هو مبهم ويستعصي فهمه، قصد تنمية حصيلته المعرفية.

4 - أهمية الصورة التعليمية:

تلعب الصورة دوراً مهماً في عالمنا، فقد تسربت إلى الشوارع والصحف والكتب... فهذا دليل على أهميتها البالغة، وقدرتها التواصلية، فلا يمكننا الاستغناء عنها، فهي تلاحقنا في كل مكان وزمان دون استئذان، فقد (كان موضوع الصورة دائماً محط نقاش منذ غزت الوسائط الحديثة الفضاء العمومي، والأمر لا يتعلق بترف أو بدعة أو موضوعة، بل هو ضرورة يملها واجب حماية النشء من الأساليب الإقناعية التي تعتمد على الصورة)⁽¹¹⁾.

كما أنها ساهمت في إنجاح التعليم، (وقد أجريت أيضاً تجربة على نحو 400 تلميذ: المجموعة الأولى من هؤلاء التلاميذ تسلموا نصاً من حكاية مصورة، أما المجموعة الثانية فتسلموا النص نفسه لكن مطبوعاً مكتوباً، بعد الاختيار، لوحظ أن النتيجة التي حصل عليها أطفال المجموعة الأولى تجاوزت 30 % متوسط الحاصل من قبل المجموعة الثانية)⁽¹²⁾. إذًا، نلاحظ أن التلاميذ الذين قرأوا حكاية مصورة اكتسبوا تحصيلاً علمياً أكبر من الذين تسلموا نصاً مطبوعاً ومكتوباً، فهذا دليل على أن الصورة وسيلة فعّالة، وداعمة لتحقيق جودة التعليم، ويحتسب لها الفضل في تقديم شروحات وتوضيحات للنصوص التعليمية، فمن خلالها يتمكن الطفل من إدراك محتوى النصوص، كما أنها تكسبه ذوقاً رفيعاً في انتقاء الصور، وتؤثر في حواسه وتجذبه، وتسهل عليه الفهم والتفسير، ف(الخطاب البصري باعتباره المخاطب الأول لحاسة البصر، فهو الذي يحدث المعرفة الأولية، والتي لها صدى بعد ذلك في التفكير والإنتاج، وحاسة البصر لها الفضل الأكبر على حاسة الحواس بما تشغله من ميزات التهيئة والاستعداد للمتعلم)⁽¹³⁾. وهذا دليل على أن الصورة تعليمية بامتياز.

5 - وظائف الصور التعليمية:

تحمل الصورة في طياتها رسالة معينة، موجهة للمتلقي، فالمعروف أن كل صورة تحمل من ورائها مغزى معيناً، يتمثل في (تبسيط الدرس، وتسهيله، وتلخيصه، وتبيان خطواته المقطعية بطريقة

ديداكتيكية ميسرة راسخة في العقل أو الذهن. والآتي، أن الصورة التربوية تؤدي نفس ما تؤديه الوسائل الديداكتيكية من وظائف بيداغوجية وتعليمية ونفسية واجتماعية وثقافية وإعلامية... (14).

6 - الغاية من استثمار الصور في الكتاب المدرسي:

تعتبر الصورة تمثلاً دقيقاً للمعنى اللغوي، وتجسيدا لواقع الطفل وتفكيره، وتمكنه من استحضار المعنى، وتسهل عليه التذكر، (ويمكن تحديد دواعي توظيف الصور في الكتاب المدرسي في ثلاث غايات:

1- الغاية التربوية: تبرز من خلال توظيف الصورة في إيضاح المحتويات التعليمية التي يحتاج التلميذ تعلمها، مادامت اللغة وحدها عاجزة عن تحقيق المقصود؛ وهنا تؤدي الصور دورها في تبسيط المادة التعليمية وتوضيحها على أكل وجه، وذلك بتقريب المفاهيم، وتذليل الصعوبات؛ حتى يحصل الاستيعاب الجيد؛ لأنه تشترك أكثر من حاسة في اكتساب المعرفة، وهذا يعزز بقاءها أطول مدة.

2 - الغاية النفسية: تتجلى في تجاوز مفردات اللغة للتعبير عن الواقع، مما يسمح للمتعلم بالتفكير دون استعمال الكلمات.

3 - الغاية الجمالية: تتمثل في جذب انتباه المتعلم وتشويقه؛ وهذا ما يجعله يقبل على التعلم بحماس ودافعية؛ طالما أن الصور بما تتميز به من أشكال جميلة، وألوان زاهية قادرة على الترغيب في التعلم، ورفع درجة التحصيل، وخاصة لدى الناشئة (15).

7 - التواصل اللفظي وغير اللفظي:

رسمت المنظومة التربوية غايتها المنشودة في توظيف الصور في الكتاب المدرسي للطفل، خاصة وأنه في المرحلة الابتدائية نجده يتعامل مع الصور أكثر مما يعامل مع الكلمات، فالهدف من الكتاب هو تعليم الطفل كيفية اكتساب اللغة واستعمالها في حياته، (فإذا كانت وظيفة اللغة الأساس هي التواصل، وهذا التواصل يتضمن إبلاغا لرسالة ما، قد تفتقر في بعض الأحيان، إلى أواليات تمكنها من تحقيق وظيفتها، فإن التواصل داخل أقسامنا لا يتم من خلال اللغة فحسب، وإنما من خلال قنوات أخرى أهمها الصورة، وقد عبرت إليزا دوليتل (Elisa do little) عن امتعاضها من اللفظي الجاف فقالت: (كلمات، كلمات، إني أصبحت مريضة بالكلمات) (16)

فالصورة حسب إليزا دوليتل تخلق نوعاً من التفاعل والإثارة، وتحرص على تزويده بموسوعة معرفية متعددة الدلالات، ولا يتم ذلك إلا باستدعاء الحواس التي تمكنه من الاكتساب، وتجاوز الألفاظ اللغوية، كما أنها تشوقه وتثير انتباهه لما لها من ألوان جميلة، تحدث لديه انفعالا، ويمكن أن تكشف عن شخصيته، فالطفل في هذه المرحلة ينجذب إلى الألوان، وعليه، يجب أن تكون الصورة مقنعة، وناقلة لمعلومات هادفة، وأن تكون غايتها الوصول بالمتعلم إلى تحصيل جيد.

والمعروف أن مرحلة التعليم الابتدائي أهم مرحلة عمرية بالنسبة للطفل، حيث يحاول التعرف على المحيط الذي يعيش فيه من خلال ما تستقبله حواسه ويدركه بصريا، ولهذا يمكن اعتبار الكتاب

الورقي وسيلة تعليمية قاصرة وعاجزة وحدها على إيصال المعلومات إلى المتعلم، (وهكذا يمكن الاكتفاء بالقول بأن السنن الأيقوني يستمد سماته المميزة على مستوى الأشكال من سنن أكثر تحليلية منه هو السنن الإدراكي، وأن هذه العلامات لا تدل إلا إذا أدمجت في سياق ملفوظ معين)⁽¹⁷⁾.

8 - ما يجب مراعاته في تعليم الصورة للطفل:

تعتبر (الصورة أداة فاعلة في التعليم، كما تفيد في توضيح المادة المكتوبة، ولا تؤدي الصور الغرض منها إذا كانت غير مرتبة لغرض تعليمي، أو غير واضحة أو صغيرة جدا، ليس لها ذوق)⁽¹⁸⁾. فإذا كانت الصورة تعاني من خلل ما فإنها لا تؤدي الغرض المقصود، فالطفل دائما يجذب الصور الكبيرة والواضحة، والتي لديها ألوان زاهية تكسبه ذوقاً رقيقاً، وتعطيه تعليماً فعالاً، بحيث يجب استعمالها بشكل مرتب.

تعد الصورة من أهم الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها، فإذا كانت الوسيلة التعليمية تتناسب مع المحتوى التعليمي المقدم للطفل، فإنها أكيد ستقوده إلى اكتساب معلومات سليمة، أما إذا كانت قاصرة على إيصال الرسالة كما يجب، فإنها ستعكس سلباً على التلميذ بحيث تقدم له معلومات خاطئة، ونظراً لأهمية الصورة في التعليم نجد جل الباحثين يتفقون في شروط معينة، فقد أشار "طلعت خفاجي" إلى أنه (ينبغي أن تكون الرسوم جذابة بأشكالها وألوانها وأن تكون مكتملة للنص، كما أن الرسوم غير المتشابهة تكون أكثر قبولا على وجه العموم لدى الطفل عن تلك التي تحتوي على تفاصيل كثيرة جدا، ويجب أن يكون شكل الكتاب جذابا والورق جيدا وتجليده متينا أن يكون تصميم الغلاف جيدا)⁽¹⁹⁾. فهذه المواصفات ستخلق للطفل تعليماً واضحاً.

فتصميم الصور والرسومات في الكتب المدرسية لم يكن عشوائياً، وإنما انتقائياً، ويقصد بتصميم الصورة كيفية توزيع الرسوم بالصفحة وعلاقة ذلك بالنص المكتوب⁽²⁰⁾:

- أن يكون محتوى النص اللغوي منسجماً ومتناغماً مع الصور في الصفحة نفسها، ولا يكون هناك تعارض بين ما في الصورة وما يقوله النص اللغوي.

- لا بد من التجديد والتنوع وإعمال الخيال عند تصميم الصفحة، بحيث تساهم الصورة مع النص اللغوي في نقل الجو العام للقصة.

- يمكن أن يساهم تصميم الصفحة في زيادة التشويق والتفاعل مع أحداث القصة.

- صورة الغلاف: تعطي انطباعاً عن محتوى القصة لذلك يحرص الفنانون والكتاب على أن تكون

صورة الغلاف مشوقة ومثيرة بحيث يجذب الطفل إليها.

عمل مؤلفو كتب اللغة العربية على إرفاق النصوص ببعض الصور والرسومات التوضيحية، فقد كانت انطلاقهم في تصميم الكتب المدرسية اختيارية، خاضعة لعدة معايير، بحيث ينبغي أن يكون شكله وحجمه وجميع تفاصيله مناسبة للمتعلم، فأول شيء يلفت انتباه الطفل هو تلك الأشكال والرموز

والألوان بشتى أنواعها، كما حرصوا على أن تكون الرسوم التوضيحية والصور المعتمدة جذابة وواضحة، وبالتالي تخدم النصوص التعليمية والمعلم والمتعلم، ومن شروطها أيضا، أن تكون ملائمة مع ثقافة وخبرة المتعلم وعمره، وقريبة من واقعه، وبذلك تمكنه من التفسير والشرح والتأويل، وتسهل عليه الفهم والاستيعاب، وتدرجه على أمور كثيرة، فقبل انتقائهم لهذه الصور كانوا حريصين على تقديم مضامين ونصوص تعليمية ذات فعالية، فهذه الأمور كلها ساهمت في إصلاح المنظومة التربوية.

9 - الصورة وبعدها العلاماتي:

يُعد السيميوطيقي ش س بورس من أبرز الذين اهتموا بأيقون الصور، ويندرج هذا الأخير ضمن الأنساق غير اللغوية التي تمثل موضوعها عن طريق المشابهة والصفات التي يحملها، فالأيقون (Icon) (هو دليل يحيل إلى موضوعه الذي يدل عليه عن طريق الصفات التي يحملها، سواء أوجد الموضوع أم لم يوجد، وبالفعل هناك استثناء، فإذا لم يوجد الموضوع فعلا، لا يعمل الأيقون كدليل، وهذا لا علاقة له بصفته دليلا أي؛ شيء، صفة، إنسان موجود، أو قانون، وأيقون شيء ما بالنظر إلى أنه يشبه هذا الشيء، وسيتم إعماله كدليل لهذا الشيء، كما أن الأيقون لا يشتغل إلا في إطار ما بين الممثل والمتمثلات بالصور)⁽²¹⁾.

إن إدراك الصورة يُستمد من التجربة الإنسانية والثقافة (فكل محاولة لإدراك وتحديد كُنه ومضمون علامة أيقونية ما تقتضي إلماما بمعرفة سابقة مفتوحة على عوالم متعددة. ويعود هذا الأمر لسببين:

1 - إن ما تدركه العين هو علامات أو موضوعات معزولة، والعالم تسكنه العلامات وليس خزاناً للأشياء.

2 - إن العلامة الأيقونية لا تدل من تلقاء ذاتها، فالمعنى داخلها يستدعي استحضار التجربة الثقافية كشرط أولي للإمساك بممكّات التدليل)⁽²²⁾.

وبناء عليه، فإننا نعيش في عالم لا يخلو من العلامات، فهي لا تعبر عن نفسها، وإنما يحاول الإنسان فهم ما في طياتها باستحضار مكتسباته القبلية، وثقافته، وتجربته الواقعية.

فالذات المؤولة دائما تحاول إثبات شيء ما، والكشف عما هو مضمّر، ومعرفة كيفية اشتغاله، فقد ربط أمبيرتو إيكو العلامة الأيقونية بالسنن الثقافي، " (وإذا كان الإنسان العادي يستبطن قواعد السنن وقوانينها بالحدس والمشاركة الاجتماعية العفوية، فإن مهمة السيميائيات هي نقل هذه المعرفة اللاشعورية من الخفاء إلى التجلي، والكشف عن "الثقافة" حيث لا تبدو سوى "الطبيعة")⁽²³⁾.

ونخلص مما سلف إلى أن الصورة تتميز بنوع من الإبهام، (ولعل ما يثبت أن العلامة الأيقونية ليست دائما تعبيرية بالوضوح الذي نظن، هو أنها ترد في معظم الأحيان مصحوبة بنص مكتوب، وأنها مهما كان أمر تعرفها يسيرا، فهي تبدو على قدر من الغموض، وأنها تحيل على العام أكثر من

إحالتها على الخاص)⁽²⁴⁾. فرغم حرص المنظومة التربوية على إرفاق النصوص بصور، إلا أنها مازالت ترد في بعض الأحيان غامضة، تحمل دلالات ضمنية تحيل على العموم لا على الخصوص، وهذا دليل على أن إدراكها تمثيل لواقع خارج الذات الإنسانية.

يمكن تعريف الصورة من الوجهة السيميولوجية، باعتبارها دالة تعتمد على منظومة ثلاثية من العلاقات بين الأطراف التالية:

مادة التعبير وهي الألوان والمسافات، وأشكال التعبير وهي التكوينات التصويرية للأشياء والأشخاص، ومضمون التعبير وهو يشمل المحتوى الثقافي للصورة من ناحية وأبنيها الدلالية المشكلة لهذا المضمون من ناحية أخرى)⁽²⁵⁾. يتضح من هذا التعريف، أن الصورة تتسم ببعد رمزي، وقدرة على الإقناع وقابلية الإثارة والتشويق، لما لها من معاني متشعبة، تدفع المؤول إلى اكتشاف كُنْهها، وما تخفيه من إحالات، ولعل غموضها هو الذي يخلق روح المعرفة والمتعة لدى المتعلم، وذلك بتجاوز المعنى الظاهر والغوص في اكتشاف ما هو مضمون.

ولكن الإشكال المطروح هنا هو: ما هي أهم أسس اشتغال الصورة التعليمية وما علاقتها بالطفل؟ وكيف يكتسب الطفل اللغة؟ وكيف يتعلم بالصورة؟ وماذا يتطلب منه لقراءتها؟ وفي هذا الصدد يتطلب من الطفل إبطار الصورة واستقبالها، ثم إدراكها انطلاقاً مما يخزنه من معرفة شاملة تمكنه من التعامل معها بشكل جيد، بحيث تكسبه مهارات لغوية تسهل له سبل قراءتها وتأويلها وفهم بعدها العلاماتي والرمزي، وكذا الكشف عن قدرتها في إيصال المعلومات والمعارف إليه، ويشترط في ذلك الاستناد إلى أهم الأسس التي تساهم في إدراك مضمونها، ويمكن التمثيل لها كما يلي:

أ - شروط اشتغال الصورة التعليمية وعلاقتها بالطفل:

(يقدم فيليب شوي (Philipps schoet) في مقالته (السيميائيات وبيداغوجيا الخطاب الإشاري) ثلاثة أسس مهمة لاشتغال الصورة البيداغوجية في علاقتها بالطفل:

- 1 - تقديم ميكانيزمات الخطابات (تنوع تجلياتها واستراتيجياتها).
- 2 - تأسيس لاكتساب الأنسقة السيميائية والتداولية والبلاغية.
- 3 - لا تفترض في القارئ اكتساب معرفة سابقة.

من خلال النقطة الأولى، يفترض أن يتم التركيز على أليات اشتغال الخطاب، حيث انطلاقاً من هذا الصدد يتم اعتماد الصورة كأنها أيقونة 100 %، حيث إن الأهم في هذا هو التبسيط، كما ترى جماعة مو، يجعل من الصورة أكثر تشابهاً، ترضي الحس السليم بتعبير إيكوني)⁽²⁶⁾.

يشير شوي إلى شيء مهم جداً، هو أنه علينا أن نحرص على تنوع الصور البيداغوجية واستراتيجياتها، من أجل تحقيق اكتساب فعال لدى الطفل، بحيث يتعدى إلى عدة مقاصد، وتكون

أكثر بلاغة، وإذا قدمنا له كل هذا، فإنه لا يتطلب منه أدنى مجهود لفهمها، لأننا هيأنا له كل ما يلزم لفهم الصورة الأيقونية بشكل مبسط.

ب - دور الصور التوضيحية في العملية التعليمية التعليمية:

إن العلاقة التي تنشأ بين الصور والكلمات تحفز المتعلم على اكتساب أفضل وأوضح. (ويقترح فيتجنشتاين (Wittgenstein) تعليماً توضيحياً يربط الكلمات بالأشياء حين اكتساب اللغة، حيث يعمل المعلم في تدريب الأطفال على النطق بالكلمة، ثم بعد ذلك يظهر صورة الشيء الذي تحيل عليه، يرتبط هذا بالسنوات الأولى للدراسة، مثلاً في الأقسام الابتدائية الأولى، إن هذا التعليم بهذا الشكل يعد مرحلة مهمة لتدريب الأطفال على الاكتساب)⁽²⁷⁾، وهذا دليل على أننا نفهم ما هو غير لغوي بالاستناد إلى اللغة التي تعبر عن ثقافة المجتمع.

ج - قراءة الصورة وإنتاج المعاني:

تكون قراءة الصور عن طريق التعرف على الأشياء ومشابقتها لشيء يكون المتعلم قد سبق أن أدركه في عالمه الخارجي، فهذه التصورات المتشكلة في ذهنه تحيل كثير من المعاني، (وبناء عليه فإن قراءة هذه الصورة وفهمها يستدعيان سناً سابقاً يتم عبر التأويل والتدليل. والخلاصة أن إنتاج دلالة ما عبر العلامة الأيقونية (الصورة مثلاً) لا يعود إلى ما يثيره الدال داخلها مثلاً من تشابه مع ما يحيل عليه، بل يعود الأمر إلى امتلاك سنن يتم فيه وعبره توليد كل الدلالة الممكنة)⁽²⁸⁾. فحسب أمبرتو إيكو لا يمكن قراءة الصورة إلا من خلال ربطها بتسنى ثقافي، يسمح لنا بالتأويل واكتشاف المعاني الخفية، والوصول إلى ما هو باطن.

ويذهب الأستاذ قدور عبد الله ثاني في كتابه "سيميائية الصورة" إلى توضيح البعد العلاماتي للصورة فيقول: (إن البعد التضميني والدلالي للصورة هي نتاج تركيب يجمع بين ما ينتمي إلى البعد الأيقوني "التقليد التمثيلي المجسد أو التعبير البصري المعاد الذي يشير إلى المحاكاة الخاصة بكائنات أو أشياء...". وبين ما ينتمي إلى البعد التشكيلي مجسداً في أشكال من صنع الإنسان وتصرفه في العناصر الطبيعية، بتراكمية ثقافية من تجارب أودعتها أثاثه وثيابه ومعماره وألوانه وأشكاله وخطوطه، وتعد الصورة، من هذه الزاوية، ملفوظاً بصرياً مركباً ينتج دلالاته استناداً إلى التفاعل القائم بين مستويين مختلفين في الطبيعة، لكنهما متكاملان في الوجود: فكما أن العلامة الأيقونية تشير إلى تركيب لمجموعة من العناصر المؤدية إلى إنتاج دلالة ما، فإن العلامة التشكيلية لا تشتغل باعتبارها كذلك إلا في حدود تأويلها ككيان حامل للدلالات)⁽²⁹⁾، فهو يرى أن الرسالة البصرية تحمل جوانب خفية تحيل على معاني عدة، فلا يمكن إنتاج دلالات إلا من خلال الاستناد إلى دعائمين: البعد الأيقوني والبعد التشكيلي، فنتيجة هذا التفاعل تتولد المعاني.

د - كيفية تعليم لغة الصورة والتعامل معها:

يوضح سعيد بنكراد في كتابه (البحث عن المعنى) كيفية التعامل مع لغة الصورة، وكيف نعلم قراءتها لطفل في المرحلة الابتدائية بشكل تسلسلي، فيقول: (لا يكفي أن ندين أو نشجب أو نصرخ في وجه "البرمجة" البصرية للعقول. بل علينا أن نعلم الطفل كيف يقرأ الصورة، وأن ينتبه إلى الطريقة التي تبلور من خلالها مضامينها وكيف تخلق لغتها الخاصة من أجل خلق حالات تواصل تبدو بريئة في الظاهر لكنها قد تكون مضللة وموحية بما لا ينتبه إليه الوعي بشكل مباشر. لذلك، يجب إدراج خطاب الصورة مبكراً في المراحل الأولى للتعليم في شكل "جرعات" تتطور وتنمو مع وعي التلميذ بحيث إنه عندما يصل إلى الجامعة يكون قد ألف لغة الصورة وإيجاءاتها لا وجود الصورة فقط، حينها سيكون قادراً على تحديد المسافة الضرورية بين التلقي العفوي وبين الاستيعاب التحليلي لمحتوياتها)⁽³⁰⁾. وبناء عليه، فإن الصورة التي نراها بالعين المجردة تختلف من إنسان لآخر حتى وإن كنا ننظر للشيء نفسه، إلا أنه يرد اختلاف فيما نراه، أضف إلى ذلك أن الصورة لا تكشف عما تخفيه دائماً، لذا نجد السيميائي سعيد بن كراد يدعو إلى ضرورة تعليم لغة الصورة للطفل منذ المرحلة الابتدائية إلى أن يصل إلى الجامعة، وبهذا يكون قد تعود عليها وعلى حيلها، فهو يراعي التدرج في التعليم ولعل هذا ما يقودنا إلى تحقيق تعليم ناجح، فالطفل في البداية دائماً ينظر إلى الصور بطريقة عفوية مباشرة، ولكن مع مرور الوقت نتضح له، ويصبح ينتبه إلى ما تضمه وتوحي إليه، فيكتشف أنها ليس بريئة كما تظهر لنا.

خاتمة :

تعد الصورة من أهم الأنساق البصرية، لكونها أداة تواصلية فعّالة منذ أقدم الحضارات، وما زالت كذلك حتى في وقتنا الراهن، فقد عرفت التكنولوجيا تطوراً كبيراً، فبعدما كان الكتاب الورقي الصامت هو السائد قديماً أصبح الآن عصر الرقنة والسمعي البصري هو المسيطر في شتى المجالات والميادين والعلوم. وعليه، سعت المنظومة التربوية جاهدة إلى إصلاح التعليم في المدارس، لاسيما في المرحلة الابتدائية، لأنها مرحلة حساسة تستدعي منا دعم الطفل، من أجل إحراز نمو معرفي متدرج بمعنى الكلمة، إذ نجدها أعادت النظر في الكتاب المدرسي الذي يعد من أهم الوسائل التعليمية، فحرصت على إدراج صور توضح النصوص، وتيسر الفهم والاستيعاب لدى المعلم والمتعلم، فكان الغرض منها تقديم تعليم فعّال يوصلنا إلى الأهداف التعليمية المنشودة، ويمنح للطفل عدة وظائف ومهارات، من خلال ما تتضمنه من رموز وألوان وأشكال ورسومات... ألخ، تخلق لدى الطفل دافعية للتعلم، لما لديها من إثارة وتشويق، إذ نجده يتعامل مع الصور أكثر من الكلمات، لأن الصور بليغة في إيصال المعاني، فكما يقول المثل الصيني: "فرب صورة خير من ألف عبارة"، فهي تقربه من واقعه الحقيقي، وتساعد على فهم ما يحيط به، لذا وجب علينا أن نعلمه كيف يقرأ الصورة، وكيف تشتغل، ليكون

بعد ذلك متمكناً ومؤهلاً لاكتشاف مضامينها المضمرة، وما تحمله من إحالات، فلا يتأتى الفهم الجيد إلا من خلال ربط المكتوب بأيقون الصورة.

- ¹ سالم العوكلي: الصورة والواقع، المجلة الليبية: المقتطف، ع 32، ديسمبر 2003.
- ² فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط 1، لبنان، الجزائر، 2010، ص: 118.
- ³ ريجيس دوري: حياة الصورة وموتها، تز: فريد الزاهي، إفريقيا الشرق، المغرب، 2002، ص: 92.
- ⁴ ابن منظور: لسان العرب، مج 4، دار صادر، ط 1، بيروت، 1997، ص: 85.
- ⁵ محمد جواد مغنية: مذاهب فلسفية وقاموس المصطلحات، دار ومكتبة الهلال، دار الجواد، بيروت، لبنان، ص: 18.
- ⁶ سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الأمان، ط 1، الرباط، 2015، ص: 103.
- ⁷ إبراهيم محمد سليمان: مدخل إلى مفهوم سيميائية الصورة، مجلة الجامعة، مج 2، ع 16، أبريل 2014، ص: 166.
- ⁸ م. ن، ص. ن.
- ⁹ جميل الحداوي: الصورة التربوية في الكتاب المدرسي المغربي. الصورة والاتصال. مج 4 ع 11. 2015 من ص 39، إلى 49.
- ¹⁰ م. ن.
- ¹¹ سعيد بنكراد: البحث عن المعنى، دار الحوار، ط 1، 2017، ص: 154.
- ¹² عبد الجيد العابد: مباحث في السيميائيات، دار القرويين، ط 1، 2008، ص: 28.
- ¹³ عبد اللطيف الحشيشة: دور الصورة في الكتاب المدرسي، المجلة التونسية لعلوم التربية، المعهد القومي لعلوم التربية، ع 22، 1994، ص: 14.
- ¹⁴ جميل الحداوي: الصورة التربوية في الكتاب المدرسي المغربي. من ص 39، إلى 49.
- ¹⁵ محمد حاج هني: الصورة ومكانتها في الكتاب المدرسي، مقارنة وصفية تحليلية نقدية لكتاب اللغة العربية للسنة الأولى ابتدائي نموذجاً، مجلة مقاربات نصية، المدرسة العليا للأساتذة، وهران، ع 2، جوان 2017، ص: 7.
- ¹⁶ عبد الجيد العابد: مباحث في السيميائيات، ص: 27.
- ¹⁷ أمبرتو إيكو: سيميائيات الأنساق البصرية، تز: محمد التوهامي العماري ومحمد أودادا، مر وتق: سعيد بنكراد، دار الحوار، ط 2، 2013، ص: 97.
- ¹⁸ خيرى خليل الجميلي: الاتصال ووسائله في المجتمع الحديث، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1999، ص: 53.
- ¹⁹ طلعت فهمي خفاجي: أدب الطفل في الغزو الثقافي، دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، ط 1، طنطا، 2006، ص: 116.
- ²⁰ م. ن، ص. ن.
- ²¹ عائدة حوشي: نظام التواصل السيميوساني في كتاب الحيوان للمحافظ حسب نظرية بورس، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، جامعة فرحات عباس، سطيف، 2009، ص: 91.
- ²² سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص: 85.
- ²³ أمبرتو إيكو: سيميائيات الأنساق البصرية، ص: 15.

- 24 المرجع نفسه، ص: 47.
- 25 صلاح فضل: قراءة الصورة، وصور القراءة، دار الشروق، ط 1، القاهرة، 1997، ص: 6 - 7.
- 26 عبد الجيد العابد: مباحث في السيميائيات، ص: 26.
- 27 المرجع نفسه، ص: 28.
- 28 أمبرتو إيكو: سيميائيات الأنساق البصرية، ص: 9.
- 29 قدور عبد الله ثاني: سيميائية الصورة، مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2005، ص: 35.
- 30 سعيد بنكراد، البحث عن المعنى، دار الحوار، ط 1، 2017، ص: 155.

قائمة المصادر والمراجع :

- 1 - إبراهيم محمد سليمان: مدخل إلى مفهوم سيميائية الصورة، مجلة الجامعة، مج 2، ع 16، أبريل 2014.
- 2 - أمبرتو إيكو: سيميائيات الأنساق البصرية، تز: محمد التوهامي العماري ومحمد أودادا، مر وتق: سعيد بنكراد، دار الحوار، ط 2، 2013.
- 3 - جميل الحمدوي: الصورة التربوية في الكتاب المدرسي المغربي. الصورة والاتصال. المجلد 4 العدد 11. 2015.
- 4 - خيرى خليل الجميلي: الاتصال ووسائله في المجتمع الحديث، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999.
- 5 - ريجيس دوريري: حياة الصورة وموتها، تز: فريد الزاهي، إفريقيا الشرق، المغرب، 2002.
- 6 - سالم العوكلي: الصورة والواقع، المجلة الليبية: المقتطف، ع 32، ديسمبر 2003.
- 7 - سعيد بنكراد: البحث عن المعنى، دار الحوار، ط 1، 2017.
- 8 - سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الأمان، ط 1، الرباط، 2015.
- 9 - صلاح فضل: قراءة الصورة، وصور القراءة، دار الشروق، ط 1، القاهرة، 1997.
- 10 - طلعت فهيم خفاجي: أدب الطفل في الغزو الثقافي، دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، ط 1، طنطا، 2006.
- 11 - عايدة حوشي: نظام التواصل السيميوساني في كتاب الحيوان للجاحظ حسب نظرية بورس، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، جامعة فرحات عباس، سطيف، 2009.
- 12 - عبد الجيد العابد: مباحث في السيميائيات، دار القرويين، ط 1، 2008.
- 13 - عبد اللطيف الحشيشة: دور الصورة في الكتاب المدرسي، المجلة التونسية لعلوم التربية، المعهد القومي لعلوم التربية، ع 22، 1994.
- 14 - فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط 1، لبنان، الجزائر، 2010.
- 15 - قدور عبد الله ثاني: سيميائية الصورة، مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2005.
- 16 - محمد حاج هني: الصورة ومكانتها في الكتاب المدرسي، مقارنة وصفية تحليلية نقدية لكتاب اللغة العربية للسنة الأولى ابتدائي نموذجاً، مجلة مقاربات نصية، المدرسة العليا للأساتذة، وهران، ع 2، جوان 2017.
- 17 - محمد جواد مغنية: مذاهب فلسفية وقاموس المصطلحات، دار ومكتبة الهلال، دار الجواد، بيروت، لبنان.
- 18 - ابن منظور، لسان العرب، مج 4، دار صادر، ط 1، بيروت، 1997.